

الباب التاسع

في سلسلة طريقه وبعض الابحاث المتعلقة بها وقد كتب هو رضى الله عنه اجازة لبعضهم ذكر فيها اساساته فقال .

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد مهبط الوحي ومنبع الرحمت وعلى آله واصحابه الائمة الهداة اما بعد فلا يخفى على ذوى البصائر والعقول ان الفنون كلها لا بد فيها من واسطة ومن لا واسطة له في فنه لا بركة له فيه ولو حصل فيه على الغاية القهوى فبركة الفن وسره وروحه وجود الواسطة فيه فن رزقها رزق الفن وبركته ومن حرمها حرم الفن وبركته وهو أمر لا يحتاج الى برهان إذ ليس الخبر كالعيان .

ولما كان التصوف اولها بذلك وأحقها بما هنالك وكان من لا شيخ له فيه لا يعبا به ولا يلتفت اليه بل هو عندهم لقيط لأب له وسقيط لا طعم فيه بل حتى لو فرض ان شيئا من المعارف والاذواق حصل لأحد على سبيل خرق العادة بلا واسطة فالمتعين عليه أن يستند الى الواسطة ادبا مع الشريعة المطهرة إذ جاءت باعتبارها وامرت بشكرها وايضا فان الاستناد اليها فيه كمال ورفعة قدر وجلال لأن فيه خروجا من رعونات النفس والانانية إلى رفعة التواضع والعبودية وناهيك بها عزا وشرفا ورفعة وفخرا إذ هي سبب للحرية بل هي في الحقيقة عينها ولو صح لأحد شيء بلا واسطة لما كان لمولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل واسطة مع أنه عليه الصلاة والسلام أجل منه وأفضل وأعلى وأعز وأكمل ففي تقديم المفضول على الفاضل رفعة

لمقام الفاضل وتنويه بعبودية الكامل فافهم وانظر الى أمر الله تعالى الملائكة بالسجود لآدم مع أنهم لا يعصون الله ما أمرهم تنفتح لك الباب وتفهم سر الخطاب فما عظمت الحرية في أحد إلا كانت العبودية فيه أعظم اذ ما تشرف من تشرف الا بها وما طرد من طرد الا بالدعوى والركون الى الحرية والانانية وما أفلح من أفلح الا بصحبة من فلاح .

وقد قال الجنيد رضى الله عنه سبق في علم الله القديم ألا يدخل أحد بحضرة

الا على يد عبد من عباده .

وقال القطب المرسي رضى الله عنه ما صارت الابدال ابدالاً الا بمجالسة امثالنا لذلك وجب علينا أن نذكر سندننا ونبين نسبتنا في هذه الطريقة الدراقلوية التي هي لب الطرق الاتصالية الجامعة بين الجيلانية والشاذلية المؤسسة على الكتاب والسنة والمخصوصة بالنفحات الربانية اذ في اتصال سببنا بسببهم ونسبتنا بنسبتهم استمطار للرحمات الالهية واستئزال للنفحات القدسية وتحريك للسلسلة النبوية مع أن الاسناد من الدين في كل وقت وحين طال الزمان أو قصر وقل عدد الوسائط أو كثر فنقول .

أخذنا هذه الطريقة النبوية عن شيخنا وقدوتنا نور الملة والدين ورحمة الله لاقاصدين الواقف بباب الله الذي لم يمل في وقت من الأوقات لسواه سلطان العارفين وقلب الواصلين سيدي ومولاي محمد ابن ابراهيم الفاسي أطال الله بقاءه وبلغه في الدارين مقصوده ومطالبه وهذا الشيخ شأنه عند الله عظيم وأمره جسيم ما رأينا ولا سمعنا في وقتنا هذا مثله وشرح حاله يستدعى مجلدات ولنا بصدد ذلك الآن وهو أخذها عن شيخه العارف الرباني سيدي عبد الواحد بناني الفاسي وهو عن شيخه المهائم في الله العارف المحبوب سيدي محمد أيوب دفين زاويته نفاس وهو أخذها عن جدنا الشريف أعجوبة الزمان العالم بالعلمين الظاهر والباطن القطب الجامع السالم مدده الجاري

سنيدي الحاج أحمد بن عبد المؤمن الغماري وهو عن إمام الأولياء
 وعمد الأقطاب والأصفياء بحر المعارف الإلهية ومعدن الأسرار الربانية برزخ
 البحرين وشيخ الثقلين الذي كان لغير الله لا يأوي سيدنا ومولانا العربي
 الدرقاوي وهو عن بحر البحور ومنبع الخور أبي الحسن سيدي علي الجمل
 دفين زاويته بفاس وهو عن القطب سيدي العربي بن عبد الله عن شيخه
 ووالده قطب الزمان سيدي أحمد بن عبد الله وهو عن القطب سيدي أحمد
 اليميني والقطب سيدي قاسم الخصاصي ، أخذ عن الأول الجيلانية وعن الثاني
 الشاذلية وهو عمده وسيدي قاسم أخذ عن سيدي مبارك عبابو وعن
 القطب أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الله معن وهو عمده ، وعنه ورث
 القطبية تقي في صحبته عشر سنين وهو عن العارف أبي زيد سيدي
 عبد الرحمن الفاسي محشي تفسير الجلالين والسنوسية وهو عن أخيه القطب
 أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي وهو عن القطب سيدي عبد الرحمن
 المنسوب عن أبي الحسن سيدي علي الشهير بالدوار عن أبي إسحق سيدي
 إبراهيم أفحام الزرهوني عن القطب الجامع سيدي أحمد زروق عن
 القطب أحمد بن عقبة الحضرمي عن أبي زكريا يحيى القادري عن القطب سيدي
 علي وفا عن والده سيدي محمد بحر الصفا عن القطب داود الباخلي عن تاج الدين
 ابن عطاء الله صاحب الحكم عن القطب أبي العباس المرسي عن قطب الأقطاب
 سيدي أبي الحسن الشاذلي الغماري عن القطب مولانا عبد السلام بن مشيش عن القطب
 سيدي عبد الرحمن المدني الشهير بالزيات عن القطب تقي الدين الفقير بالتصغير
 فيهما عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين عن القطب تاج الدين
 عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزويني عن
 القطب أبي إسحاق البصري عن القطب أبي القاسم أحمد مرواني عن القطب
 أبي محمد سعيد عن القطب سعد عن القطب أبي محمد فتح السمود عن القطب
 سعيد الغزواني عن القطب أبي محمد جابر عن أول الأقطاب وأجل الأصحاب

سيدنا الحسن ابن مولانا فاطمه الزهراء وعلى بن أبي طالب عن والده
باب مدينة العلم عن سيد المرسلين وحيب رب العالمين هذه سلسلتنا
الروحانية ونسبتنا النورانية وقد قال القطب أبو العباس المرسي رضى الله عنه
طريقتنا هذه متصلة بالاقطاب الى قطب الرحمن سيدنا محمد عليه الصلاة
والسلام قلت وليكف الانسان شرفاً وفخراً وعزاً ورفعاً أن يعرف رجال
هذه السلسلة النورانية المحمدية فانها سلسلة الذهب الابريز التي من تمسك
بمحبة رجالها نال رضى الملك العزيز وأما من دخل فيها وكان حلقة من
خلاصتها فلا يصف الواصف فضله ولا يلحق أحد شأنه وقدره .

فقد قال القطب الشعراني رضى الله عنه من فوائد النسبة العامة أن المنتسب
يكون كالحلقة في السلسلة لا يتحرك في أمر إلا تحركت السلسلة كلها معه إلى
مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف غير المنتسب فإنه يتحرك وحده
ويسكن وحده الى آخر الاجازة المذكورة في الأصل .

فصل

هنا مباحث تتعلق بهذه السلسلة .

المبحث الاول

في أول من ذكر هذا السند من القطب ابن مشيش الى النبي صلى الله عليه
وسلم وهوتقى الدين أبو عبد الله محمد الاسكندري سبط الشيخ أبي الحسن
الشاذلي في كتابه النبذة المفيدة وهو ممن أدرك أصحاب أبي العباس المرسي
وتبرك بهم كما ذكره في كتابه المذكور فقال بعد ذكر قول أبي العباس المرسي
رضى الله عنه في هذه الطريق أنها متصلة بأخذ واحد عن واحد إلى الحسن
ابن علي عليهما السلام مانصه فلما اطلعت على هذا الكلام أمعنت الفحص عن
معرفة بقية هذا الطريق فلم أجد سوى أن الشيخ أبامحمد عبد الرحمن المدني أخذ

عن طرف وقته الشيخ القطب تقي الدين الفقير فذكره ثم قال واصلم انى
ظفرت بهذه السلسلة واتصالها بعد الفحص الكبير وجدتها منقولة عن
الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله صاحب الشيخ ابي العباس المرسي ومطابقة
لقول المرسي أن طريقة المدني متصلة بالأقطاب ففي هذا اشعار بصحة هذه
الطريق واتصال سلسلتها وإن كنت لم أجزم فيها إلا بالشيخ الشاذلي وشيخه
ابن مشيش وشيخه المدني ثم بالسن بن علي بن أبي طالب فمجموعها على
قسمين منها ما هو قطعي ومنها ما هو ظني وأما قولهم فلان الدين ولم نذكر له
شهرة فحيث وجدت ذلك هنا فاعلم أنى ثقته كذلك فحكيمته على ما وجدته
وكذلك ذكره أيضاً في كتابه شفاء الغليل ودواء العليل ثم تبعه كل من
جاء بعده من ألف في الخرق وأسانيد الطرق .

قال أبو عيسى الفاسي في تحفة أهل الصديقية وامل هؤلاء الرجال
المنقولين عن ابن عطاء الله رضى الله عنه من كشفه أو من كشف شيخه
أبي العباس المرسي رضى الله عنه القائل والله الذى لا إله إلا هو ما من ولى
الله كان أو هو كائن إلا وقد اطلعنى الله عليه وعلى اسمه ونسبه وكتم حفظه من الله
تعالى قال وإذا كان كذلك فلا يذكر اسكل واحد إلا الذى ولد في سماء
الروحانية ومن هو منبع مدده وصل حقيقته الذى بثها فيه ولقنه إياها عن
مخالطة أو دونها لا الذى رباه بعد ذلك أو أفاده أمراً والله أعلم .

المبحث الثاني

ما ذكره الشيخ رضى الله عنه من كونها تنهى إلى على عليه السلام هو
ما ذكره كثير من أورد هذه السلسلة كالشيخ زروق وابن حجر الهيتمي في
فهرسته وابن عطية في سلسلة الأنوار والشيخ عبد السلام الأسمر في
نصيحة المريدين وأبي الاقبال ابن وفا في شجرة الارشاد وأبي العباس أحمد .

ابن يوسف القاسمي في المنح الصافية وابن عجيبة في فهرسته وشرحه للحكم وآخرين .

واقترع جماعة يطول عددهم على رفعها إلى الحسن بن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم دون واسطة أبيه على عليه السلام .

وصرح بعضهم بأنها تروى من الطريقين فيكون الحسن رضى الله عنه لبس واستقى من جده صلى الله عليه وسلم وصحب واقتدى بوالده عليه السلام .

وذكر بعضهم أن الحسن ورث القطبية من والدته سيدة نساء أهل الجنة صلى الله عليها وسلم وأنها هي أول الأقطاب على الإطلاق وكل هذا صحيح لا شك فيه فانهم أهل بيت النبوة وهبط الوحي وبحر المعارف ومنبع الأسرار والكساء شمل جميعهم فجازوا به من الله الخير العميم والفضل الجسم والشرف الرفيع والولاية الكبرى إذ السر في الكساء عند المحققين من أهل الله هو إمداد أهله بالمدد الرباني الفائض في الذات الشريفة النبوية السارية بواسطة الكساء إلى تلك البضعة الطاهرة الهاشمية ولولاه لما كان لذلك التجليل مع الدعاء معنى كما أوضحته في الأصل وفي البرهان الواضح الجلي في تحقيق انتساب الصوفية إلى علي .

المبحث الثالث

ما تقدم من كون الراوى عن الحسن هو أبو محمد جابر غير منسوب ولا مذكور والده هو كذلك عند الأكثرين وذكر أبو علي بن رجال في الروض اليانع الفائح أنه جابر بن زيد وهو بعيد لأنى لم أر من ذكر روايته عن الحسن عليه السلام فضلا عن أخذ هذا السر العظيم عنه لا سيما وهو بصري ومذهب أهل البصرة معلوم بل ناصبي إباضى وإن نقل عنه التبري من ذلك .

وذكر التادلي في المعزى أنه جابر بن عبد الله الأنصاري وهذا يمكن بل هو الواقع إن شاء الله كما بينته في البرهان الواضح .

المبحث الرابع

قد تقدم أن هؤلاء الرجال المذكورون من طريق الكشف فلا يمكن أن يعرفهم الأهل الكشف وقد حلاهم العارف محمد بن مسعود القاسمي في الفتوحات الربانية بما يوضح أن يحلى به كل عارف فلا يحصل به تعريف تام ولعله فعل ذلك من طريق الكشف أيضا فقد قال في كلامه على الديوان وقد أعطانا الكشف والعلم الإلهي أن أولياء الأمم الماضية كانت ولايتهم تنقطع بموتهم وموت أنبيائهم وأما أولياء هذه الأمة المحمدية فلا تنقطع ولايتهم إلى يوم القيامة لوجود بقاء شريعتهم فكما أنه لا انقطاع لشريعتهم كذلك لا انقطاع لولايتهم اه فلا يبعد أن يكون حلاهم بذلك عن كشف وعيان .

المبحث الخامس

ما تقدم من أخذ أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي عن أبي زكريا القادري عن سيدي علي وفا هو ما ذكره الأكثرون وذكر بعضهم أن ابن عقبة أخذ عن سيدي علي وفا بلا واسطة وهو باطل فإن سيدي عليامات سنة سبع وثمانمائة وكانت ولادة أحمد بن عقبة سنة أربع وعشرين فلا بد من واسطة أبي زكريا المذكور ومع ذلك ففيه أشكال من وجوه .

منها أن بعضهم روى عن ابن عقبة عنه عن والده أبي مسعود أحمد عن والده أبي صالح نصر عن والده أبي محمد عبد الرزاق عن والده القطب الكبير مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه وهذا غلط بين لأن أبا زكريا القادري المذكور مات بمدينة حماه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة وذلك قبل ولادة

الحضرمي بتسعين سنة لأنها كانت سنة أربع وعشرين وثمانمائة .

ومنها ان القادري هذا غير معروف وقد قال أبو عيسى القاسمي لا يبعد أن يكون المراد به أبا زكريا يحيى بن أحمد الوفايي المعروف بأبي السيادات وتبعه على هذا جماعة جازمين به وفيه بعد لأن يحيى بن أحمد الوفايي كنيته أبو السيادات لأبوزكريا ولا تعرف نسبه بالقادري ولا سبب لها لأنه غير قادري لا نسبا ولا طريقة .

ومنها ان الشيخ ابا العباس احمد بن عقبه رحل من بلده إلى مكة سنة ست وأربعين وثمانمائة وأقام بها عشرين سنة فيكون انتقاله إلى القاهرة بعد سنة ست وستين وفي ذلك الوقت كان يحيى بن أحمد الوفايي قد مضى لوفاته نحو تسع سنين لأنه مات سنة سبع وخمسين .

ومنها ان أبا السيادات يحيى بن أحمد الوفايي لم يصح عمه ولا تأدب به لأن عمه مات وهو ابن تسع سنين لم يبلغ سن الصحبة والاقتداء فقد ولد سنة ثمان وتسعين وسبعمائة ومات عمه سنة سبع وثمانمائة ثم ان الطريقة الوفايية تروى من طريق يحيى بن أحمد الوفايي هذا عن والده أحمد عن أبيه محمد لا عن عمه علي فالحق انه شيخ قادري النسب شاذلي الطريقة من أصحاب سيدي علي وفا أخذ عنه أبو العباس الحضرمي وكان خاملا لا يعرف فلم يترجم له أحد .

المبحث السادس

ان سيدي محمدا وفا لما مات كان لولده سيدي علي ست سنين على الراجح لكنه أوصى بمنطقته أن تخلع على ولده عند كبره فلما خلعت وقع له الفتح فلذلك نسب إلى والده وهذا قد وقع لكثير من الأولياء كما بينته في البرهان الواضح وفي مناهج التحقيق فلا يظن من وقف على تاريخهما ان بالسند انقطاعا في هذا الموضع .

وهنا مباحث أخرى ذكرتها في الكتابين المذكورين .

فصل — لى

وأما رجال السلسلة من مولانا الشيخ الوالد قدس سره إلى القطب ابن مشيش فقد استوفيت ترجمتهم في مناهج التحقيق في الكلام على سلسلة الطريق وغالبهم أفرد بالتأليف كالشاذلى والمرسى وبنى وفا والحضرمى وزروق وأبى المحاسن الفاسى وسيدى احمد بن عبدالله وسيدى قاسم الخصاصى ومولاي العربى الدراقاوى وجدنا سيدى الحاج احمد بن عبد المؤمن فانى أفردته بتأليف سميته المؤذن بأخبار سيدى احمد بن عبد المؤمن .

الباب العاشر

في ذكر وفاة الشيخ وبعض ما قيل في رثائه كان الشيخ رضي الله عنه مريضاً بضعف القلب والخفقان مصحوباً معه من مدة طويلة إلا أنه لم يكن ظاهراً فيه إلا في بعض الأحيان ثم في أواخر شهر رمضان قوى فيه إلا أنه لم يلزمه الفراش فكان يخرج لمحل مقابلة الزوار والضيوف ولما كان يوم عيد شوال قابل كثيراً من الناس على عادة، وصرح لبعضهم بأن هذا آخر اجتماع بيننا ثم في ذلك اليوم وما بعده اشتد به الحال فجمع أهله ومن كان حاضراً من اولاده واولادهم فحثهم على التقوى والتمسك بالدين والعمل بالسنة واجتناب البدعة وملازمة ذكر الله تعالى وذاكره ومحبة الاولياء والصالحين واهل النسبة من الفقراء الذاكرين واکرام الضيوف وخدمتهم بالنفس والمال ومواساة الضعفاء واعانتهم ورحمة الصغير وتوقير الكبير وصلة الرحم والتخلق بالحياء والمحبة والآلفة والعمل بالعلم واحياء السنة ونشرها وكف الأذى وتحمله مع الصبر والاحتمال ومعرفة الوقت واهله ونحو هذا مما كان يحث عليه دائماً وقال لبعض اولاده كنا نرجو من الله تعالى الفسحة في الأجل حتى ينصر بنا هذا الدين الشريف ونعلمكم العلم ونحججكم ولكن راينا الأيام المقبلة أيام شرور وفتن ومصائب ومحن واشتداد ضعف في الدين ووهن فسألت الله تعالى ان يقبضني اليه كما في الحديث الشريف وإذا اردت بمبادك فتنة فاقبضني اليك غير مفتون فاستجاب الله دعائي وصدق رضي الله عنه فقد اشتد الخطب وعظمت الرزية وظهر الانقلاب العظيم بسرعة وهو في الزيادة نسأل الله مغفرته ومعافاته ولما كان يوم الأوجاء سادس شوال اشتد به الحال وظهرت عليه علامة الانتقال وارسل إلى بعض الفقراء فحضروا اليه فامرهم بذكر الله جهراً فلما وصل وقت العصر قدم احداهم فصلى به وبهم وصلى هو جالساً بالتيمم ثم امرهم بذكر الله ايضاً إلى قرب الغروب فامر بخروجهم

فدخل عليه اهله وانجاله ولم تمض إلاهنيهة حتى فاضت روحه وانتقلت إلى الرفيق الأعلى وذلك سنة اربع وخمسين وثلاثمائة والـف وكانت له جنازة لم تر طنجة مثلها منذ خلقها الله تعالى وحضر الناس من سائر مدن المغرب كـفاس والجديدة والدار البيضاء وسلا وما بين ذلك والعرّاش والقصر واصيلا وتطوان وغمارة وما بينها وذهب بجنازته إلى الجامع الكبير للصلاة عليه بها لكثرة الناس وازدحام الخلق ورؤى اليهود يبكون في بيوتهم من مهابة ذلك المحفل وما جعل الله فيه من النور والبهاء وتبرك الناس بنعشه ووزعت سجادة كانت تحته خيوطا للتبرك ثم رد إلى الزاوية ولم يدفن انتظارا لما يرد من عندنا من القاهرة وكنا سعيينا في الحضور بالطيارة فلم يقيس لنا ذلك ثم أمرناهم بالدفن بتلفراف أرسلناه فوقع الدفن ليلة الجمعة وحضر جنازته الأديب السيد محمد بن الطاهر القاسي فرثاه بقصيدة نشرها في جريدة السعادة فقال: بالأمس قدمنا لقراء جريدتنا السعادة ترجمة العلامة البدر اوى واليوم نقدم إليهم ترجمة علم من أعلام المغرب وكبير من كبرائه فقيده العنلم والدين الشريف سيدي محمد بن الصديق الغماري ففي ذلك اليوم نفسه سادس شوال بينما نحن نتمتع الطرف في مناظر طنجة الفيحاء حيث مالت الشمس إلى الغروب اذ رأينا ذلك الشبح المخوف شبح الموت الذي لا يهاب عظيما ولا يخشى شريفاً ولا مشروفاً يمد يده بدون شفقة ولا حنان فيقضى قضاءه المبرم على تلك الروح الطاهرة ويطفىء ذلك المصباح الوضاء الذي طالما اهدينا بنوره في تلك الظلمات القائمة والايالي الحالكه هناك كنت لا ترى إلاعيونا بأكية ووجوها متغيرة وزفرات تتردد في الفضاء ونحيبا يرن في الاجواء وألسنة لاهجة بالمدح والثناء ثم ذكر ترجمة وجيزة ثم قال اما جنازته فكان لها مشهد عظيم حضرها كل أهالي طنجة من مختلف الطبقات ومن ذلك اليوم والوفود ترد من جل مدن الايالة قال ولما بيننا وبين الفقيده رحمه الله من العلائق الودية والرابطة العلمية رثيته بالقصيدة التالية التي ألقيتها بنفسى على قبره يوم ثالث صباح القبر .

خبروني هل غاب نجم السعود
 كان عهدى به يبد الثريا
 اندبوه وابكوه عنه برثى
 ليث شعري ايصبح الناس فوضى
 قد اخذنا بالأمس منه عهدا
 ستم الناس بعدك العيش حتى
 كنت فينا تبيد كل ظلام
 كنت فينا تدعو بكل صلاح
 لم تكن تبتغى سوى نصره الذي
 في سبيل الاله ما قد نلاق
 ات في القلب لوعة واحتراقا
 لا تقولوا قد مات انى اراه
 لا تقولوا قد غاب ان سناه
 ان يغب في بنيه خير عزاء
 أم تسامى الى مقام الخلود
 كيف امسى رهين هذى اللحدود
 لبكاهم فيرعوى عن صدود
 في ظلام في شقوة في رتود
 اتراه ينى بتلك العهد
 شغلوا بالبكا ولطم الخدود
 وضلال وبدعة وجود
 باذلا في الصلاح كل الجهود
 ن جهارا وملة التوحيد
 من شقاء ومحنة وهجود
 ومعانى الامى والحزن الشديد
 يمتع الطرف في جنان الخلود
 في ازدياد ونوره في صعود
 سيما احمد كريم الجدود

ولنقتصر على هذه القصيدة اختصاراً ، والحمد لله وكفى وصلى الله على سيدنا
 محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين .

تم بحمد الله تعالى وعونه